د. بن جلول هزرشي

الشيخ محمد رشيد رضا والقضية الفلسطينية

1898 -1935م.

Sheikh Mohammed Rashid Rida and the Palestinian cause 1898-1935.

د. بن جلول هزرشي

جامعة زيان عاشور – الجلفة

Bendjelloul70@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2019/05/15 تاريخ القبول: 2019/06/02

الملخص:

شكل ظهور الحركة الصهيونية وتحالفها مع الحركة الاستعمارية في نهاية القرن التاسع عشر تحديا بارزا للعرب. ويعود ذلك للمشروع الذي تبنته، ، والقائم على التوسع، والاستيطان، والتجزئة على أسس عرقية، ودينية. وقد تنبه أعلام الاصلاح في العالم الاسلامي لخطر الصهيونية، وأهدافها، ، والوسائل التي تستخدمها. ويعد الشيخ محمد

رشيد رضا أنموذجا للمصلحين، ورجال الدين الذين تابعوا أطوارها، وحذروا من مخاطرها, وقدموا مقترحات لحلها سياسيا، وعسكريا.

الكلمات المفتاحية:

فلسطين , الحركة الصهيونية , الاستعمار , الدولة العثمانية , محمد رشيد رضا , جمعية الاتحاد والترقي.

Abstract:

The emergence of the Zionist movement and its alliance with the colonial movement at the end of the 19th century posed a major challenge to the Arabs. This is due to the project it has adopted, which is based on expansion, settlement and fragmentation on ethnic and religious grounds. The highest reform in the Islamic world has alerted the Zionist threat, its objectives, and the means it uses. Sheikh Mohammed Rashid Rida is a model for reformers, clerics who followed their phases, warned of their

dangers, and made proposals to solve them politically and militarily.

Key words:

Palestine, the Zionist movement, colonization, the Ottoman Empire, Mohammed Rashid Rida, the Association of Union and Progress.

شاع في بعض الكتابات التاريخية، والمؤلفات السياسية أن الشعب الفلسطيني والأمة العربية الإسلامية لم تتفطن لخطر الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتمدد الرأسمالي والتوسع الاستعماري إلا بعد صدور وعد بلفور في 02 نوفمبر 1917 وما تبعه من تجزئة ,وتقسيم لمنطقة المشرق العربي بين الانتداب البريطاني, والفرنسي وفق ما أقره مؤتمر سان ريمو عام 1920. غير أنه بالعودة إلى بعض المصادر التاريخية التي تابعت ظهور الحركة الصهيونية، وسعيها الحثيث لاستعمار فلسطين يدرك تنبه بعض المثقفين والمصلحين العرب لذلك

الخطر مبكرا. وتشكل مجلة المنار لصاحبها الشيخ محمد رشيد رضا أنموذجا لذلك.

أولا: مولده ونشأته وأهم محطات حياته:

ولد الشيخ محمد رشيد رضا في قرية القلمون بجبل لبنان، وذلك عام 1282 ه الموافق لـ 1865 ميلادية(1). تلقى دراسته الأولى على النهج القديم، فدخل كتاب قريته بالقلمون، ودرس قواعد الحساب ,واللغة العربية , والخط ,والقرآن الكريم(2)، ثم انتقل إلى المدرسة الرشيدية بطرابلس، ثم المدرسة الوطنية الإسلامية للاستزادة من العلوم.

وقد تنوعت مصادر ثقافة رشيد رضا, وتعددت طرق تحصيله الثقافي. فالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف حددا وجهته الدينية وصقلا تفكيره، وكتب التراث ورجالاته طبعا سلوكه ,وحرراه من نزعته الصوفية التي طبعت مرحلة تفكيره الأولى.

وتعتبر العروة الوثقى(3) التي كان قد أصدرها في باريس السيد جمال الدين الأفغاني، وتولى تحريرها الشيخ محمد عبده من أبرز المصادر التي استقى منها رشيد رضا أفكاره السياسية. كما أن استفادته من أهل العلم واتصاله بعلماء عصره، ورحلاته إلى أوربا، والحجاز، والهند، واسطنبول، وسوريا قد ساهمت في صقل مواهبه ,وتنمية معارفه وتوسيعها. وبعد وفاة الأفغاني وفشل مشروعه السياسي، وعودة محمد عبده إلى مصر، وانصرافه إلى التركيز على التربية والتعليم كوسيلة إلى النهضة والرقي، وأمام الأخطار الخارجية التي كانت تحدق بالأمة الإسلامية وتهددها في وجودها , وانطلاقا من الإحساس بمرارة الاستبداد، وغياب الحرية واتساع دائرة القمع، واستحالة حرية التعبير، وضغط الطرق الصوفية التي كان يتزعمها أبو الهدى الصيادي(4)، قرر رشيد رضا السفر إلى مصر لما فيها من حرية النشاط والعمل، ولكونها كانت تشكل متنفسا لأفكاره وآرائه، وملتقى المناضلين والثوار

والمنفيين والعلماء الفارين من الاستبداد والحكم الجائر. وهناك التقى الشيخ محمد عبده وتحاور معه حول واقع الأمة(5).

وقد عرض رشيد رضا أهداف مجلة المنار منذ فاتحة العدد الأول من المجلد الأول حيث ذكر: "وغرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين، لا الحط من الأمراء والسلاطين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة، والأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد شبهت الحق بالباطل"(6).

لم يكن رشيد رضا يهدف من خلال إنشاء المنار اكتساب شهرة ,أو تحقيق ربح مادي. ورغم الصعوبات والعراقيل التي واجهت المنار في سنواتها الأولى، كضعف

التوزيع ,والاعتماد على الاشتراكات، وتوقف الكثير من المشتركين عن الدفع، ومحاربتها من قبل الدولة العثمانية ومنع دخولها، وتراكم الديون التي كادت أن تتسبب في توقفها، إلا أنها استطاعت فيما بعد أن تشق طريقها وتملك شهرة واسعة، حيث كثر قراؤها، وازداد عدد المشتركين فيها. والفضل يعود في ذلك بالدرجة الأولى إلى الدور الكبير الذي لعبته في نشر أفكار الإصلاح الديني، وكذا محاربة البدع والخرافات، ومناقشة الأفكار والقضايا الكبرى التي كانت تشغل المسلمين ومساهمتها الفعالة في تنمية الوعي ,وإيقاظ الهمم، والتحذير من الأخطار والتحديات التي كانت تهدد كيان المسلمين. يضاف إلى ذلك دور الكتاب الذين ساهموا بمقالاتهم الإصلاحية في اتساع دائرة قرائها كشكيب ارسلان، ومحمد عبده، ورفيق العظم، وعبد الحميد الزهراوي، وعبد الرحمان الكواكبي(7) . وقد بلغ المنار قدرا كبيرا من الشهرة والذيوع، وامتدت آفاقه إلى

المشرق والمغرب، ووصل إلى كل مكان في العالم الإسلامي. وينقل لنا شكيب أرسلان شهادة مستشرق هولندي يؤكد فيه على أن المنار لم يشرق على القاهرة والعرب وحدهم، بل امتد إلى مسلمي أرخبيل الملايو وأندونيسيا وأصبح الذين اقتبسوا من نور المنار في مصر منارات صغرى في أندونيسيا بعد أن عادوا إليها(8).

ونفس التأثير أحدثته في المغرب العربي. ففي تونس تأثرت النخبة المثقفة وفي طليعتها مشائخ الزيتونة بالدعوة إلى السلفية الجديدة وأصبحوا يقبلون على قراءة المنار حتى أن العدد الواحد منها كان يدار على عشرات(9). أما في الجزائر فقد نشأت الصلة بين المنار والحركة الإصلاحية الدينية في الجزائر رغم الطوق الحديدي الذي فرضته فرنسا على الجزائر(10)، وتجذرت بعد زيادة محمد عبده إلى الجزائر، ومن إطلاع الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في جامع الزيتونة على المنار كعبد الحميد بن باديس الذي تزعم

الاتجاه الإصلاحي في الجزائر من خلال تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والذي درس على يد محمد الطاهر بن عاشور، تلميذ عبده ,ومن خلال اللقاء الذي جمع محمد البشير الإبراهيمي مع رشيد رضا سنة 1911.(11).

وظل رشيد رضا يجاهد ويدافع عن الأمة، ويسعى في سبيل إصلاحها وإخراجها من مأزق التخلف الذي أصبح عليه المسلمون، وهم يواجهون مدنية الغرب المتفوقة عليهم اقتصاديا وعسكريا إلى إن فاضت روحه في حادث سيارة عندما كان عائدا من مدينة السويس، حيث كان في وداع الأمير سعود بن عبد العزيز، وذلك مساء الخميس 22 جمادى الأولى عام 1354 ه الموافق لـ 22 أغسطس عام 1935م(12).

ثانيا: مواجهة الحركة الصهيونية:

حركتان بارزتان شهدتهما فترة نهاية القرن التاسع عشر: الحركة الاستعمارية بطابعها التوسعي، ونزعتها

الاستغلالية، والحركة الصهيونية بخصائصها العنصرية، وبعدها الاستيطاني. وكلا الحركتين ارتبطتا بالدولة العثمانية التي بلغت آنذاك مرحلة من الضعف العسكري، وأصيبت أجهزتها ومؤسساتها بالخلل، وأصبحت تعاني من شيخوخة وغدت بالتالي غير قادرة على مواجهات التحديات المفروضة عليها . فالحركة الاستعمارية التي قادتها الدول الأوربية، كانت تهدف إلى تجزئة الدولة العثمانية ,والإستلاء على ممتلكاتها، واستنزاف ثرواتها، والتحكم في موقعها الإستراتيجي. أما الحركة الصهيونية قد انصب هدفها على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، التي كانت تابعة للدولة العثمانية. ولذلك ارتبطت الحركتان ببعضهما البعض ارتباطا عضويا.

والسؤال المطروح هنا: ما مدى اهتمام رشيد رضا بالصهيونية؟ وهل تابع نشاطها وتفطن لمراميها؟ وما دوره

وحجم مساهمته في التنبيه لمخاطرها، وإبراز علاقتها بالاستعمار الحديث خاصة بريطانيا؟

يجمع الباحثون والمؤرخون على اعتبار رشيد رضا من بين أبرز المصلحين السياسيين العرب، الذين تتبعوا الحركة الصهيونية منذ نشأتها، وأدركوا طبيعتها، ووعوا هدفها المتمثل في تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود، واستطاع أن يربط بين الأوضاع التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وأهداف جمعية الاتحاد والترقي، وارتباطها بالحركة الماسونية وهيمنة اليهود عليها.

وتجدر الإشارة إلى أن معالم سياسة التتريك، والممارسة القومية الاستعلائية المتطرفة التي مارسها الاتحاديون على مختلف الأجناس المشكلة للدولة، قد ساهمت في مضاعفة شكوك العرب حول مدى إخلاص جمعية الاتحاد والترقي لاعتبارات عديدة، لعل من أبرزها أن قادة الجمعية ,وزعمائها

كانوا جميعا من البنائين الأحرار(13)، وأن يهود صالونيك كانوا جزءا لا يتجزأ منها. كما أن اليهود كانت لهم أطماع وأحلام توسعية ليس في فلسطين فقط، إنما أيضا في بقية أنحاء الدولة العثمانية. كما أن الجمعية كانت تتعامل مع الأجانب بشكل يثير الريبة ويطرح علامات استفهام كبيرة، خاصة أن نخبة من الأتراك الاتحاديين كانوا من الأعضاء الأوائل في المحافل الماسونية، التي كانت منتشرة في الدولة العثمانية(14), حيث قدر عدد الماسونيين الأتراك عام 1882 م نحو عشرة آلاف شخص(15).

ويؤكد المؤرخون أن الماسونية تعد من إفرازات الحركة الصهيونية، ويوردون مجموعة من الأدلة، منها أن جمعية الاتحاد والترقي ولدت في المحفل الماسوني المسمى "ماكدونيا ريرتورا"، وأن أعضاء الجمعية كانوا يعقدون اجتماعاتهم السرية في المحافل الماسونية، وأن انتخابات " مجلس المبعوثان" أسفرت عن نجاح خمسة ممثلين عن الصهاينة(16).

ومن جهة أخرى يعد رشيد رضا من القلائل الذين استوعبوا المخططات التي كانت ترسم للمنطقة، كما هو الشأن بالنسبة لنجيب عازوري الذي نبه هو الآخر للخطر الصهيوني وحتمية الصراع معه، وأكد أن مصير العرب مرتبط به. يقول في هذا الصدد: "إن ظاهرتين متشابهتي الطبيعة بيد أنهما متعارضتان، لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن تتضحان في هذه الآونة في تركيا الآسيوية. أعني: يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع. ومصير هاتين الحركتين هو أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأخرى. فالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متضاربين يتعلق مصير العالم بأجمعهم"(17).

هذه المقولة تؤكد أن نجيب عازوري كان سباقا للتحذير، مما كان يحاك ضد فلسطين، وبالتالي كانت رؤيته واضحة وبعيدة المدى.

وما يلفت الانتباه حقا أن رشيد رضا كان يفرق بين اليهود والصهيونية. فقد كان مدافعا عن اليهود في بعض القضايا التي كانت تستهدفهم في أوربا، وفسرها بالتعصب الجنسي والحقد عليهم، واستغرب انتقال هذا الحقد من أوربا إلى الجرائد المصرية، التي راحت: "تصلي اليهود نارا حامية، وتأخذ عليهم في مهارتهم في الكسب، وتفننهم في أساليب الربح. أم نحن فرأينا أن الحرية العمومية ليست مختصة بفريق دون فريق، فإن التمدن الصحيح والعدالة الحقيقية يفرضان المساواة المطلقة بين جميع بني الإنسان في المنافع العمومية"(18).

وموقفه هذا موقف إنساني وعقلاني يبعد صفة التعصب القومي ,والتزمت الديني التي طالما حاولت الدراسات الاستشراقية إلصاقه بالعرب والمسلمين قصد تشويه صورتهم وطمس كل معالم التسامح التي ميزت التجربة الإسلامية منذ القرن 7 م في التعامل مع الأقليات العرقية ,والدينية.

غير أن دفاعه عنهم تغير بعد أن بدأ يتحسس خطرهم، وخطر الحركة الصهيونية بشكل بارز. فقد علق على التساؤل الذي بعثه مواطن مقيم في أوربا يستفسر عن مدى متابعة الصحافة العربية للحركة الصهيونية بالقول: "فيا أيها القانعون بالخمول أقنعوا رؤوسكم، وحدقوا أبصاركم وانظروا فإذا الشعوب والأمم أصبحوا، لما تتحدث به العوالم عنكم. أترضون أن يسجل في جرائد جميع الدول أن فقراء أضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات في بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه بحيث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجراء وأغنيائها فقراء"(19).

واضح أن خطاب الشيخ لم يحدد لنا الذين قصدهم بالتحديد، هل هم الفلسطينيون؟ هل هم العرب والمسلمون جميعا؟ الأرجح أن التسمية تنطبق على الجميع وليس على

أحد بعينه، ولا على فئة بذاتها، وهو أقرب إلى النصيحة منه إلى طلب القيام بعمل ما.

ورغم هذا التنبيه الذي أطلقه، والتحذير الذي وجهه فإن: "وعيه المتقدم في المسألة الصهيونية، ورفضه الحازم والعميق للمشروع الاستعماري الإنكليزي بقي يتناول المسائل المتعلقة بقضية فلسطين وقضية الخطر الصهيوني في معرض البحث في قضايا أخرى أو جوابا على أسئلة أو استفسارات دينية سياسية تعرض لها"(20).ومع ذلك ظل يتابع محاولات الحركة الصهيونية، ورغبتها الجامحة في السيطرة على فلسطين. ولاحظ أنه بينما كانت في البداية تتظاهر بنقل اليهود المهاجرين والمنفيين لفلسطين لتعميرها، والاحتماء بالسلطان، فإنها انتقلت إلى مرحلة التفاوض مع الأستانة لشراء القدس عن طريق المستر "إسرائيل رنغويل"(21).

والمتصفح لجريدة المنار يدرك أنها كانت مقارنة بالجرائد الأخرى التي عاصرتها، على مستوى الإدراك الحقيقي للخطر الصهيوني. وفي هذا الإطار تتبع الصهيونية منذ تأسيسها، وأشار إلى أهدافها ,واستخدامها لكافة الوسائل لامتلاك فلسطين(22). وهذا عكس ما ذهب إليه المراكشي عندما قال أن اهتمام رشيد رضا بالقضية الفلسطينية، لم يبدأ إلا بعد اشتداد النزاع بين الفلسطينيين واليهود بسبب أحداث حائط المبكى(23).

وقد شكلت الزيارة التي قام بها الشيخ للأستانة فرصة ذهبية لاكتشاف العلاقة العضوية بين رجالات جمعية الاتحاد والترقي، واليهود، والحركة الماسونية. وذلك من خلال سيطرة هؤلاء على المراكز الحساسة، وامتلاك مفاتيح صنع القرار السياسي داخل الدولة العثمانية. فقد تولى ثلاثة من اليهود مناصب في وزارات هامة. فعين نسيم مازلياح

كناظر للتجارة والزراعة، وتولى جاويد بك مقاليد نظارة المالية، وأصبح بساريا أفندي ناظرا للأشغال العمومية(24).

والواضح أن المراكز التي شغلها اليهود، وتولوا مقاليدها ذات بعد اقتصادي بحت، مما يسمح لهم بالتحكم في البلاد، واستنزاف مال الدولة. وقد دفع تحسس الشيخ لمخاطر الصهيونية إلى تنبيه الدولة للمصائب التي تترتب عن ذلك إذا لم ينتبه لخطرهم، وتتخذ إجراءات سريعة ضدهم. وينقل لنا على لسان الصدر الأعظم حقي باشا بأن اليهود هم أصحاب المستقبل في الدولة في المجالين الإداري والعسكري(25).

عموما فقد كانت المنار من بين أبرز المجلات التي تنبهت للعلاقة القائمة بين الصهيونية والماسونية التي ازداد نشاطها وتضاعف بعد الانقلاب الدستوري بشكل لافت للنظر، وأصبح خطرها واضحا للعيان. هذا الأمر دفع بعض القراء إلى طرح تساؤلات على الشيخ تمحورت حول طبيعة الماسونية،

وأهدافها، وحكم الانتساب لها، وأكد في رده أنها جمعية سياسية سرية ظهرت في أوربا، وكانت تروم تحقيق هدفين: هدف بعيد يتمثل في تأسيس الدولة اليهودية ,وهدف قريب يتمثل في إضعاف الدولة العثمانية لتسهيل تقسيمها وتجزئتها(26).

و انطلاقا مماسبق ذكره يمكن القول أنه كان واعيا لدور اليهود الخفي في الدولة، من خلال الربط بين الاستثمار الأجنبي المرتبط برأس المال اليهودي والبنوك المملوكة لهم، وبين المشاريع التي يمكن إنجازها في الدولة وفي الولايات العربية التابعة لها. وقد حصر الخطر الحقيقي بالدرجة الأولى في الديون، وتملكهم لرقبة البلاد خاصة وأن جل الأراضي كانت ملكا لهم. ومن جهة أخرى كان أيضا مدركا للدور الذي يلعبه اللوبي الصهيوني في الدول الأوربية، من خلال سيطرته على المراكز الاقتصادية، والسياسية، والإعلامية، وهو الأمر الذي تجسد على أرض الواقع من خلال إقدام

بريطانيا على إصدار وعد بلفور، الذي التزمت فيه بالعمل على تأسيس وطن قومي لليهود(27).

ثالثا: خيارات واقتراحات وتحذير:

في سياق البحث عن حل للقضية الفلسطينية طرح الشيخ رشيد رضا على زعماء العرب خيارين لحل المشكلة: إما عقد اتفاق مع زعماء الحركة الصهيونية للجمع بين مصلحتي الفريقين في البلاد إن أمكن، وإما جمع قواهم لمقاومة الصهيونيين، من خلال تأليف الجمعيات والشركات، وتأليف العصابات المسلحة . كما دعا إلى التفاهم،والتعايش، والوفاق بين العرب واليهود على أساس اتساع جغرافية فلسطين، إدراكا منه للخطر الصهيوني ونتائجه المأساوية(28). وإذا كان اليهود في الغرب هم الذين أخذوا على عاتقهم قيادة الحركة الصهيونية. وتأسيس وطن قومي لهم، فإن الشيخ تابع انسجام وتناغم اليهود الشرقيين مع

أهداف الحركة الصهيونية. وأشار في هذا السياق إلى المظاهرات التي قادها اليهود في الإسكندرية، والتي مدحوا وأثنوا فيها على الصهيونية، وعبروا عن سرورهم وفرحتهم بوعد بلفور(29).

وفي معرض تحديده للعلاقة القائمة، والمصلحة المتبادلة بين بريطانيا ,والحركة الصهيونية يحدد لنا الشيخ أهداف بريطانيا المتمثلة في سعيها لحماية مصالحها الإستراتيجية، ودفع العرب إلى مقاومة اليهود دون الإنجليز(30)، وزرع جسم غريب في جغرافيا الوطن العربي كمنطقة عازلة بين المشرق والمغرب، وتكريس التجزئة ,ووأد الوحدة التي تشكل العدو الرئيسي للمصالح الأجنبية(31).

وفي سياق متابعته للتطورات السريعة التي كانت تمر بها المنطقة، حذر الشيخ من مخاطر الصهيونية، وهجرة اليهود إلى فلسطين، وانتقال الأراضي لهم. وأكد أن الخطر

الصهيوني سوف لن يتوقف عند حدود فلسطين، بل سوف تمتد آثاره إلى البلدان العربية المجاورة لها. ويؤكد على ذلك بالقول: "ليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها أن الصهيونيين إذا تم لهم ما يريدون فإنهم لا يبقون (في أرض الميعاد) التي يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلما ولا نصرانيا، وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه الآن فلسطين فقط، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد إلى سوريا حتى "النهر الكبير" أي نهر الفرات فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الإسرائيليين"(32). وبهذه الرؤية الواقعية والدقيقة، يمكن القول أن الشيخ كان يستشرف مستقبل القضية الفلسطينية، وأنه كان يملك قدرة كبيرة على قراءة الواقع السياسي، وهو الأمر الذي أكدته الأحداث والتطورات اللاحقة. وعليه يخطئ من يصنف رشيد رضا كداعية للإصلاح الديني والتربوي فقط، وبالتالي يتم

تجاوز الحقيقة التاريخية التي تؤكد أنه جمع بين الإصلاح الديني، والعمل السياسي.

وإذا كان الشيخ يملك القدرة على التنظير والممارسة، فإنه لم يكتف بفضح مخططات الاستعمار الصهيوني، والتحذير من المخاطر المترتبة عنه، بل حاول أن يساهم في إيجاد حل للقضية، والتوصل إلى تفاهم بين العرب واليهود عن طريق الاتصال بزعماء الصهيونية ومناقشتهم، والبحث عن صيغة للتفاهم معهم. وفي هذا الإطار اتصل بمعتمد الجمعية الصهيونية بمصر، وبزعيم الصهيونية وايزمن، الذي أكد له بدوره أن الاتفاق مع العرب ممكن بشرط قبول أمراء العرب بذلك(33).

ويعلق الدكتور الشوابكة على هذه الخطوة بأنها كانت تهدف إلى تجاوز المواقف الرسمية السلبية، والعمل على زعزعة الارتباط العضوي بين المصالح اليهودية والحركة

الصهيونية، ودق إسفين فيها. كما أنها كانت محاولة جريئة لتفريغ الصهيونية من محتواها السياسي والعقائدي(34)، بينما يرى باحث آخر أن مساعي رشيد رضا في إقناع اليهود بإمكانية التفاهم مع العرب دليل عدم استيعابه للمشروع الصهيوني، وأهدافه الاستعمارية(35).

ومن الأسلحة النافذة التي استخدمها الشيخ لوقف بيع الأراضي، وانتقالها لليهود سلاح الفتوى التي نشرها في المنار، وحرم بموجبها بيع الأراضي لليهود، واعتبر من يفعل ذلك ليس جانيا على فلسطين وحدها، بل على الأمة جمعاء(36). كما أنه ولقطع الطريق على اليهود لشراء الأراضي، اتفق مع رجالات الحركة الوطنية في فلسطين على تأسيس شركة اسمها "شركة إنقاذ الأراضي في فلسطين"، وحصر مهمتها في شراء الأراضي من الفلسطينيين الذين تدفعهم ظروفهم الصعبة إلى بيعها، ثم تقوم بتقسيمها وتأجيرها، واستثمارها لمنفعة الشركة. وقد بذل الشيخ مجهودا كبيرا لإنجاحها من

خلال الدعاية لها، والاتصال بأمراء العرب المسلمين لشراء أسهمها(37).

ولم يكتف الشيخ بالإجراءات السلمية لمقاومة المشروع الصهيوني، بل اعتبر الأسلوب العسكري ضروريا لإفشاله، وفي نفس السياق دعا إلى تشكيل عصابات مسلحة من الفلسطينيين ينضم لها من يشاء من المتطوعين العرب والمسلمين وتحت عنوان "إنذار وأستتابة، ويل للعرب من شر قد اقترب" أطلق صفارة إنذار لإيقاظ العرب الغافلين، واعتبر أن وحدة العرب السياسية، ودعم المسلمين لها يشكل الرد الناجح للدفاع عن فلسطين وحماية الأطماع الاستعمارية والصهيونية(38). ودلالة هذا النداء أنه لم يتأت من عداء متأصل في نفسه لليهود ولا من تعصب ديني بقدر ما كان يستشعر خطر الهجرة اليهودية على فلسطين وأبعادها المستقبلية وما تحمله من مخاطر تهدد ليس فلسطين فحسب ولكن الوطن العربي في عمومه.

الخاتمة:

عموما يمكن القول من خلال دراسة موقف الشيخ محمد رشيد رضا من القضية الفلسطينية أنه أدرك أبعاد الخطر الصهيوني على فلسطين والبلاد العربية، وأنه تتبع ذلك منذ فترة مبكرة. كما عمل على إثارة العرب وحرضهم على استخدام كافة الوسائل السياسية والعسكرية لحماية فلسطين، وحماية أنفسهم من المشروع الصهيوني الذي كان يستهدف المنطقة برمتها. في السياق ذاته مثل اهتمامه بالقضية الفلسطينية تحولا في تفكيره السياسي، من مهادن ومتعاون مع الاستعمار الإنجليزي على غرار شيخه محمد عبده إلى سيف مسلط عليه من خلال إبراز مساوئه ,وفضح علاقته وتآمره على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ويبدو أن دفاعه عن فلسطين، وتحذيره من خطر الصهيونية، وإبراز علاقته بالحركة الاستعمارية يشكل

جزءا من مشروعه السياسي الكبير الذي نادى من خلاله بالجامعة الإسلامية لمواجهة الخطر الخارجي والتصدع الداخلي، وبالجامعة العثمانية لمواجهة التتريك الثقافي والاستعلاء العنصري، وبالدولة العربية المستقلة لحماية الإسلام ومواجهة خطر سقوط الدولة العثمانية، خاصة وأنه تحول إلى مناصر للعرب.

الهوامش:

1. خير الدين، الزركلي، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين**، ج 6، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1995، ص126.
2. محمد رشيد، رضا، **المنار والأزهر** (د، ط) مطبعة المنار، مصر، 1934، ص133.
3. العروة الوثقى مجلة إصلاحية صدر منها ثانية عشر عددا.
4. هو محمد بن حسن وادي . درس في مسقط رأسه. تولى نقابة الأشراف، قلده السلطان عبد الحميد الثاني مشيخة الإسلام بالاستانة. عند توليه الحكم عام 1876. من مؤلفاته تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار، داع الرشاد لسبيل الاتحاد والانقياد. انظر: منير، موسى، **الفكر العربي في العصر الحديث**، (د.ط)، دار الحقيقة، بيروت، ص ص، 147 - 139.
5. محمد عبده، **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده**، ج 3، ط1، تحقيق وتقديم محمد عمارة دار الشروق، القاهرة، 1993، ص123.
6. محمد رشيد، رضا، **«فاتحة السنة الأولى للمنار»**، مجلة المنار، م1، ج 1، (القاهرة، شوال 1315 ه فبراير 1898)، ص 11.
7. محمد رشيد، رضا **«مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار»** مجلة المنار، م1، ج 1، (القاهرة شوال 1315ه - فبراير 1898)، ص 2.
8. أرسلان، شكيب، **السيد رشيد رضا، أو إخاء أربعين سنة**، ط1، مطبعة ابن وزيدون، دمشق، 1937، ص 143.
9. محمد الصالح، المراكشي **«علائق رشيد رضا، صاحب مجلة المنار مع**

التونسيين 1898 - 1935 حوليات الجامعة التونسية، ع 4، تونس 1976، ص121.

10. حنفي بن عيسى **«تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر»**، مجلة الثقة س 7، ع 38 ،(الجزائر، أفريل -ماي 1977) ص 114.
11. أبو القاسم، سعد الله، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي**، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2003، ص 118.
12. يوسف، السيد، **رشيد رضا والعودة إلى منهج السلف**، ط1، ميريت للنشر والمعلومات مصر، ص 158.
13. رشيد، رضا، **«عبير الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية (3)»** مجلة المنار، هم ج 2 (القاهرة 29 صفر 1331ه - 6 فيفري 1913)، ص 137. انظر أيضا: شكيب أرسلان، **تاريخ الدولة العثمانية**، حققه وعلق عليه حسن السياحي سويدان، =ط1، دارا كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص327. ومحمد رشيد، رضا **«الماستانى جمعية الاتحاد ومجلة دين و معيشت »** مجلة المنار، م14، ج 4 (القاهرة، 3 ربيع الآخر، 29 - 29 أفريل 1911)ص 318.
14. حسن، حلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897 - 1909**، ط3، اس الجامعية، بيروت، 1986، ص 330.
15. هدى، درويش، **العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية**، ج1، ط1، دار العلم للملايين، دمشق، 2002، ص ص، 5 29 -294.
16. سعيد، الأفغاني **«سبب خلع السلطان عبد الحميد»** مجلة العربي، ع 16، (الكويت، ديسمبر 1972) ص 152.

17. نجيب عازوري، **يقظة الأمة العربية**، تعريب وتقديم أحمد أبو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت)، ص 24 - 17.

18. محمد رشيد رضا **«اليهود في فرنسا ومصر»** مجلة المنار، م1، ج 2 (القاهرة، 29 شوال 1315ه فبراير 1898م) ص 54.

19. محمد رشيد رضا، **«خبر واعتبار مجلة المنار**، م1، ج 6، (القاهرة، 28 ذو القعدة 1315ه 9 أفريل 1898م) ص 108.

20. حسين، ضناوي، **السيد رشيد رضا. فكره، نضاله السياسي**، ط1، دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، لبنان، 1983، ص 222.

21. محمد رشيد، رضا، **«حياة امة بعد موتها جمعية اليهود الصهيونية»** مجلة المنار، م4، ج 21 (القاهرة 16 شوال 1319ه 29 يناير 1902) ص 803.

22. محمد رشيد، رضا، **«ثورة فلسطين أسبابها ونتائجها 1** - مجلة المنار، م30، ج 5، (القاهرة، 29 جمادى الأولى 151348 نوفمبر 1929 م)ص 389.

23. محمد الصالح، المراكشي، **تفكير رشيد رضا من خلال مجلة المنار، 1898- 1935**، (د.ط)، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس الجزائر، 1985، ص 192.

24. محمد رشيد، رضا **«الانقلاب وجمعية الأحمرين الدم والذهب»** مجلة المنار، م 16، ج 2، القاهرة 29 صفر 1331ه 6 فبراير 1913م)ص 157. انظر أيضا: محمد رشيد، رضا **«المسألتان الشرقية والصهيونية»** مجلة المنار، م17، ج 4 (القاهرة 30 ربيع الآخر1332ه 27 مارس 1914)ص 320.

25. محمد رشيد، رضا **«أرباب الأقلام في بلاد الشام والمشروع الأصفر»** مجلة المنار، م 14، ج 9 (القاهرة 30 رمضان 1329ه 23 سبتمبر 1911 م) ص 714.
26. محمد رشيد، رضا **«فتاوى المنار»** مجلة المنار، م14، ج 3 ،(القاهرة 29 ربيع الأول 13298ه 30 مارس 1911م) ص 180.
27. رضا، **«ثورة فلسطين...»**، مقال سابق، ص390.
28. رضا **«المسألتان...»**، مقال سابق، ص 319.
29. محمد رشيد، رضا، «مظاهرة الصهيونين لتحقيق أمانيهم في فلسطين» مجلة المنار، م 20، ج 4، القاهرة 29 محرم 1336ه 15 نوفمبر 1917م) ص 205.
30. محمد رشيد، رضا، **«ملك اليهود ومسيحهم والمسيح الحق»** مجلة المنار، م30، ج 7، القاهرة 30 شعبان 1348ء 30 يناير 1923)ص 555.
31. محمد رشيد، رضا، **«فتح اليهود لباب الفتنة في القدس»** مجلة المنار، م29، ج 6، (القاهرة ربيع الآخر 1347 ه 14 أكتوبر 1928م) ص 416.
32. محمد رشيد، رضا، **«تحذير العرب من مقاصد الصهيونيين»** مجلة المنار، م17، ج 9، (القاهرة سلخ رمضان 1332ه 23 أغسطس 1914م) ص 708.
33. رضا **«ثورة فلسطين...»**، مقال سابق، ص ص، 392 -391.
34. الشوابكة أحمد، **محمد رشيد رضا دوره في الحياة الفكرية والسياسية**، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 1989، ص 328.
35. ضناوي، مرجع سابق، ص 228.

36. محمد رشيد، رضا، **«حكم الشرع في من يساعد اليهود على امتلاك فلسطين وبيع أراضيها أو غير ذلك»** مجلة المنار، م 33، ج 4، (القاهرة ربيع الأول 1352 يونيو 1933)، ص 275.

37. الشوابكة، مرجع سابق، ص 332.

38. محمد رشيد رضا، **«ويل للعرب من شر قد اقترب»**، مجلة المنار، م 33،ج7، القاهرة، 1352 ه أبريل 1934 ص 745.